جلال الدين الحنفي وأثره الثقافي في المجتمع العراقي - دراسة تاريخية

أنوار ناصر حسن
جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

الخلاصة
ولد الشيخ الحنفي في احدى محلات بغداد الشعبية ذات العلاقات الاجتماعية المتشابكة ، وكان لهذه المحلة تأثير عميق فيه وفي مواهبه الأولى فنشا محبا لمحلته ولبغداد وولد مع هذا النشوء ومنذ أيامه تطلعه نحو التراث الشعبي والفلكلوري . وفي أواسط شبابه بدأ التأليف بما يهوى من تراث الموروثات الشعبية فألف عن بغداد كتبا ومقالات وأبحاثا جلبت إليه شهرة واسعة لم تكن لتتحقق لولا جديته واجتهاده واستقلاله الذاتي وعصاميته التي فطر عليها .
وكانت الرحلة احدى أدواته في الشهرة العلمية فقد رحل الى بلدان شرقية واسيوية كثيرة وزار معاهدها الدينية والأدبية وألقى فيها محاضرات وزاد في ذلك انتدابه لتدريسه اللغة العربية بمدارس الصين وفي أثناء ذلك تعلم الصينية ونعني بذلك ان تأثير الحنفي لم يكن مقتصرا داخل وطنه بل تعداه الى حيث رحل وأقام معلما او مجتهدا في نشر علمه .
لم يسع الحنفي في مسيرته الطويلة هذه نحو اختزان الأموال او السعي نحو وجاهه ذاتية إنما كان هدفه الجوهري هو قوله الحق وبيان الحقائق في القضايا المبهمة في الأدب والدين والمجتمع وقد نجح في كل ذلك .
وأخيرا فان الحنفي كان نموذجا لعقل عراقي بكل معاني العراقية المفتوحة على مختلف الآفاق اي انه اصدر أبحاثه ومعارفه عن وعي منضبط خارج حدود القومية الضيقة او الطائفية البغيضة والعشائرية وكل ما يخالف الطبيعة العراقية العامة السمحة والطيبة .
وبهذا فقد اعطي الحنفي درسا في الإنسانية في حركة حياته منذ نعومة أظفاره الى اخر لحظة في حياته . لذا كانت رسالته واضحة المعالم في كل مساعيه المتشعبة في العلم والمعرفة كرجل دين وشاعر وأديب وواعظ وناقد ومصلح اجتماعي ومربي موسوعي .

Jalal AL-deen ALhanafi and his educational effect on the IRAQI society - A historical study

Anwar N Hassan
University of Baghdad - College of Education for Women - History Dept.

Abstract
Sheikh Hanafi was born in one of the popular shops of Baghdad with interlocking social relations, and had a profound impact this camp where his talents in the first Venco loving to Mahalah and Baghdad and was born with this development since his days looked forward to the folklore and folk. In the middle of his youth, including authoring loves the heritage of folk legacies began in motion, from Baghdad, books, articles, research has brought him wide acclaim were not possible without the seriousness and diligence, independence and self-Asamath that mushroom on them.

The trip was one of his tools in the scientific fame has gone to many Eastern and Asian countries and visited religious and literary institutes and delivered the lectures and increased the seconded to teach Arabic language schools in China and in the meantime, to learn Chinese, we mean that the impact of the Hanafi was not limited in their homeland, but also extended to where he was deported and it established a milestone or diligent in spreading his knowledge.

Hanafi did not seek in this long march towards hoarding money or the pursuit of self-merit but his goal was essential is saying the right and the statement of facts in the vague issues in literature, religion and society has succeeded in all that.

Finally, the Hanafi was a model of the mind of all Iraqis Iraqi meanings open to different perspectives he had any knowledge about his research and a disciplined awareness outside the

narrow boundaries of nationalism or hateful sectarian, tribal and all that violates Iraqi general nature of the tolerant and kind.
In this Hanafi he gave a lesson in humanity in the movement of his life from childhood to the last moment of his life. His message was so clear-cut in all his manifold in science and knowledge as a man of religion and a poet, writer and preacher, critic, social reformer and breeders objective.

المقدمة

تؤلف دراسة الشخصيات التاريخ حلقة أساسية في سلسلة الجهود المبذولة عند كتابة التاريخ . وفي أطار دراسة تاريخ العراق المعاصر فان من الضروري مواصلة الاهتمام بالكتابة عن الشخصيات التي أسهمت بشكل فعال في تاريخ العراق المعاصر ولها بصمات واضحة في مسيرة أحداث هذا التاريخ ولاسيما في الجانب الثقافي والاجتماعي .
ومن هنا جاء اختياري لدراسة جلال الدين الحنفي بوصفه شخصيه لها إسهامات واضحة في الحيات الثقافية والاجتماعية في العراق خلال النصف الثاني من القرن الماضي وان تسليط الضوء على هذه الشخصية وسير أغوارها سيساهم في سداد الفراغ في دراسة الشخصيات التي تركت تأثيرا واضحا في تاريخ العراق الثقافي لما لها من عمق في الاطلاع وتنوع في الاهتمام ومعرفة موسوعيه .
ولعل من أهم ما يميز الشيخ جلال الحنفي انه شخصيه أدبيه وثقافيه معاصرة نفذت إلى الأوساط ألعامه والخاصة نفاذا جعل منها عنوانا لظاهرة عراقية يتحدث الناس عنه الجد حين يكون الأمر جد ، وحديث الطرافة والندرة حين يكون الأمر عن نوادر الرجال وجلائل الإعمال .
شخصيه موسوعيه تعرف أكثر من شيء وتمضي إلى أي مشكله بأكثر من حل وتوجيه وله أكثر من مكان محل لائق ومرموق . فهو إمام جامع . وخطيب جمعه .وهو فقيه وأصولي وهو كاتب مقاله ومحرر صحفي في نظر الصحفيين والمحررين وشاعر مقتدر في نظر أرباب هذه الصناعة .
وهو بعد ذلك دارس ومجتهد قدم دراسات اجتماعيه اعتمدت على الخبرة والمشاهدة ألف المعاجم منها الفصيح ومنها العامي . في تتبع شاق وصولاً إلى أصول الكلمات ومواطنها الأولى والسبل التي سلكها في ثقافتها وتطورها . وهو بعد ذلك يأتي في مقدمة جامعي الأمثال ودارسي القصص الشعبية يعرف الإلحان ويعرف أصول الغناء العراقي البغدادي لذا تميز من بين الشخصيات العراقية المعاصرة بسعة العلم والمعرفة مفتاح شخصية إلى جانب ذكائه ودقة ملاحظاته انه كان طموحاً وطموحه المشروع زين له في كثير من الأحوال قبول الاشتباك والتصادم في الأشياء المعنوية مثلها في الأشياء المادية .

المبحث الأول
نسبه ونشأته

ولد جلال محي الدين بن عبد الفتاح بن مصطفى بن محمود الحنفي في بغداد في محلة البارودية من جانب الرصافة واختلفت المصادر في تحديد سنة ولادته الحقيقية فمنهم من ذهب إلى أن ولادته كانت في عام (١٩١٢)[١] ومنهم من قال انه ولد في عام (١٩١٥)[٢] إلا إن نجله قد أكد بان والده مواليد (١٩١٤) .
وينتمي الحنفي إلى عشيرة(زبيد) في مدينه الكوت ، ولقب بالحنفي نسبه الى جده الثالث (محمود) الذي كان الناس ينادونه آنذاك بالملا محمود الحنفي .
نشأ جلال الحنفي في أسرة عراقية بغدادية ، أسرة متواضعة صغيرة مكونة من والده ووالدته وشقيقته (فتحيه) . وكان والده محي الدين يمتهن مهنه الحلاقة آنذاك في حين أكد آخرون إن والده عمل طباخا ضمن الحاشية التي خدمت الملك فيصل الأول ملك العراق.
عاش جلال وترعرع في محلة البارودية المتواضعة التي اتصفت بيوتها بالبساطة والتجاور وكان الناس يعيشون حياة اجتماعيه هادئة بعيدة عن التعقيد وانتشرت بينهم روح المحبة والتسامح والتزاور والمساعدة والنخوة مما انعكس ذلك إيجابا على سلوكه اللاحق فيما بعد عندما أصبح شابا . وتميز الحنفي الطفل بصفات كثيرة كالنقاء وصفاء السريرة والأمانة والتفكير الطويل الذي يسبق كل ما يريد عمله وكرهه للأنانية والطمع . ويبدو إن هذه الصفات التي لازمته منذ الطفولة انتقلت وترعرعت معه حتى بلوغه وانعكست في كتاباته اللاحقة ورغبته في [٣] حل بعض المشاكل الاجتماعية وترؤسه الجمعيات ذات النفع الاجتماعي والإرشاد الديني العام .
في عام (١٩١٩ سافر الحنفي وعمره خمس سنوات مع أسرته الصغيرة إلى ألبصره ، وقد دخل الكتاب إذ التحق بكتاب (جامع العرب) والكتاب هو عبارة عن صف مصغر ملحق بالجامع يتعلم فيه الطلاب البعض من قراءة القرآن وحفظ سوره وتعلم هناك قواعد اللغة العربية . وأتم وهو فيه قراءة البعض من القرآن في بضعة أشهر[٤]
لم تستقر الأسرة طويلا في البصرة إذ يبدو أن والده لم يحصل على عمل يناسبه كما صعب على الأسرة التي اعتادت العيش في بغداد ان تتأقلم مع أجواء البصرة الحارة والرطبة لذا رجعت إلى بغداد وسكنت في محلة القرغول وفيها التحق جلال

الدين بكتاب (الملا إبراهيم) بمسجد الالات في المحلة ذاتها. وخلال الأربعة أشهر الأولى من التحاقه بكتاب (الملا إبراهيم) ختم قراءة القران الكريم وهو في السادس من عمره واحتفل به بهذه المناسبة على جاري عادة الناس[٥]

المبحث الثاني

مسيرته التعليمية

تنقل الحنفي من اجل الدراسة والتعليم بين عدة مدارس ففي عام (١٩٢١) عندما كان في السابعة من عمره درس في مدرسة التفيض الأهلية التي كان مقرها في (الحيدرخانه) أما موقعها الآن ففي منطقة باب المعظم قرب شارع حسان بن ثابت ومن معلميها الشيخ قاسم ألقيسي وأمين سرحان وفي عام (١٩٢٢) وعندما كان طالبا في الصف الثاني الابتدائي أخرجته المدرسة في مسيرة مع جمهرة الطلاب متجهين إلى البلاط الملكي وكان الملك فيصل الأول واقفا في مدخل البلاد مع أعوانه وكان ذهابهم إلى البلاط من اجل أن يستعرضهم الملك وبذلك يعد الملك فيصل الأول أول ملك يراه الحنفي في صغره .[٦]

وبعد مدرسة التفيض الأهلية دخل المدرسة المأمونية التي كان مقرها وسط بغداد مقابل (طوب ابو خزامة سابقا) القشلة حاليا ، وبعد ذلك انتقل الى مدرسة التطبيقات التي كان مقرها في الاعظمية . واظهر في هذه المدرسة نشاطا بارزاً بإلقاء الخطب المدرسية في ساحة المدرسة وأمام جمهرة الطلبة والمعلمين وكان نشاطه مثار للإعجاب[٧] .

وبعد ذلك استقر الأمر في مدرسة البارودية وكانت هذه المدرسة تضم فرقة للكشافة وكان هو من أوائل المنتمين إليها . وبعد إكماله الصف الرابع الابتدائي انتقل الى المدرسة الحيدرية النهارية وموقعها مقابل جامع (حسين باشا) في منطقة(الحيدر خانه) واظهر الحنفي في هذه المدرسة ذات الستة صفوف تفوقا في مادة اللغة العربية مما أثار انتباه معلم المادة (خالد النائب) المتوفى في سنة (١٩٣٠) .[٨]

ولتفوقه في هذا المجال أسباب كثيرة منها حفظه المبكر للقرآن الكريم وتردده على عدد من الكتاب وانتقاله وتعلمه في عدد من المدارس . وفضلا عن ذلك تردده على سوق السراي على الرغم من صغر سنه ورغبته في اقتناء كتب اللغة ومن أوائل الكتب التي اشتراها كتاب في النحو (الرشيد الشرتوني) الذي يقول عنه ان هذا الكتاب ألهمه حبا منقطع النظير لقواعد اللغة .

وفي بيته قرأ بشغف القصص الطويلة كقصة سيف بن ذي يزن والملك الظاهر بيبرس وذات الهمة وحمزة البهلوان وألف ليلة وليلة وغير ذلك وقد قرأ كل هذا وهو في الصفين الرابع والخامس الابتدائي باستثناء سيرة عنترة بن شداد التي قرأها في الصف الثاني الابتدائي وكان يقضي معظم أوقاته في مطالعتها ويبدو ان هذه القصة قد شدت الحنفي لما فيها من مواهب ومواضيع متعددة كموهبة الشعر وموهبة الأسلوب والجرأة .

ولما كانت هذه السيرة مليئة بالشعر وقصائد الفخر والغزل اندفع الحنفي بدافع التقليد والمحاكاة الى نظم الشعر إذ كانت هذه السيرة مفتاح توجهه نحو الشعر وتذوق معاني الأمور . وهنا لابد من الإشارة الى ان الحنفي عندما ينظم الشعر لم يكن يعرف شيئا عن قواعد نظم الشعر والقوافي ولكنه تعرف على الأوزان العروضية الشعرية وهو في الصف الخامس الابتدائي من خلال معلمه في اللغة العربية (عبد الستار القرغولي) حيث وضع له هذا المعلم مجموعة من الأوزان الشعرية كما اكتشف عنده مواهب أخرى ولاسيما في كتابة المقالات الصغيرة .[٩]

ولم ينسى الحنفي في أحاديثه وكتاباته فضل معلمه (عبد الستار القرغولي) الذي تعلم منه أسلوب كتابة المقالة ونظم الشعر وأوزانه وذكر الكثير من محاسنه وأفضاله عليه .[١٠]

ومن بعد المدرسة الحيدريه النهارية انتقل الى المأمونيه المسائية التي تقع في منطقة الميدان ولا يوجد سبب مقنع لبيان الانتقال المتكرر بين هذه المدارس سوى تغير أماكن سكن عائلته لعدم امتلاكهم دارا خاصا بهم إذ كانوا مستأجرين وينتقلون من بيت لآخر لدواعٍ وأسباب مختلفة تأتي الأسباب الاقتصادية في طليعتها حيث أكثر والده من التنقل بحثا عن سبل جديدة للعيش .[١١]

في عام (١٩٣٠) دخل الحنفي امتحانات المرحلة المنتهية للدراسة الابتدائية (البكالوريا) وقد حصل على درجة مائه في درس اللغة العربية وبذلك يعد أول طالب يحصل أعلى درجة في هذه المادة آنذاك[١٢].

وبعد تخرجه من الابتدائية تبلورت في داخله فكرت ان يكون رجل دين يقوم بمهمة الوعظ الديني للناس ،[١٣]. وكانت هذه الفكرة قد تبلورت وتطورت بتأثير بعض الشخصيات الدينية عليه ومن أبرزهم الحاج نعمان الاعظمي [٣][١٤] إمام وخطيب جامع السراي وصار يتمنى ان يكون خطيبا .

وهذا شجعه على الالتحاق بكلية الإمام الأعظم بعد تخرجه من الابتدائية حيث لم يكن آنذاك وجود لمتوسطة أو أعداديه دينيه بحيث كان طالب الابتدائية عند تخرجه يرحل الى كلية الإمام الأعظم وكانت هذه الكلية بمثابة المتوسطة والإعدادية الدينية[١٥].

وقد ابتدأ الدراسة فيها في شهر تشرين الثاني من سنة (١٩٣٠) ،وكان الزي الرسمي لطلاب الكلية (الجبة والعمامة) ودوامها ينقسم الى قسمين صباحي ومسائي وكان الحنفي طالبا في الدوام الصباحي وللطلاب آنذاك راتب شهري قدره ثمانية روبيات والدراسة فيها خمس سنوات . وكان الحنفي يضع على رأسه منذ الصبا السداره البغدادية المصنوعة من (الجبن) واللباد الصوفي [١٦].

واعتمر العمامة عام (١٩٣٣) [١٧]. وقد لف له العمامة الأولى الشيخ كمال الدين الطائي بطلب من الحاج نعمان الاعظمي الذي أغراه باعتمارها وكانت آنذاك كبيرة الحجم .
يقول الحنفي في مذكراته " كان الناس يظنون إن في العمامة دلالة على غزارة العلم والتفقه في الدين " ولكن بعد ذهابه الى مصر وجد هناك عمائم العلماء صغيرة فحبذ أن تكون عمامته كذلك وكلما مر عليه حين من الدهر " شعرت ان تصغيرها أولى عندي من تكبيرها " [١٨].
وفي أثناء دراسته في كلية الإمام الأعظم كان للحنفي مشاركات أدبية وخطابية وكان الحاج نعمان الاعظمي مدير الكلية من المتابعين والمشجعين له لما وجد عنده من قابليات أدبية ومهارات خطابية ، هذا وقد تحول اسم هذه الكلية بعد سنتين من دوامه فيها أي في سنة (١٩٣٢) الى (دار العلوم الدينية والعربية) وبقي مقرها في الاعظمية بجوار جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان[١٩].
كان من الذين عملوا ومارسوا التدريس شخصيات عراقيه لها باع طويل في مجال الدراسات الفقهية واللغوية ومن بينهم يوسف عطا وطه الراوي والشيخ محمد القز لجي وعبد اللطيف شنيان ومحمد سعيد المبصر ورشيد شبلي ومحمد فهمي الجراح وشفيق شريف العاني ، أما المواضيع التي كانت تدرس فيها فاشتملت على العبادات والفقه والنحو والبلاغة . والتاريخ والأدب والصرف والإنشاء والرسم . وكان من زملائه المقربين إليه في كلية الإمام الأعظم يحيى منير افندي وعبد الله الشيخلي والشيخ محمد صالح العبيدي[٢٠].
في عام (١٩٣٥) فصل الحنفي من دار العلوم الدينية والعربية وهو في الصف الخامس النهائي بدعوى اشتغاله في السياسة . وهو بعيد عنها على خلفية إصداره لمجلة (جمعية الناشئة الإسلامية) التي قام بتأسيسها هو ورفاقه ومن أبرزهم الشيخ (ابو الفتح عثمان) وكان جلال الحنفي رئيس تحريرها . وهي مجلة أدبية ودينية وتصدر شهرياً . إلا أن المجلة رصدت بعض التجاوزات والتزوير الحاصل في سندات تملك مدرسة التفيض لبعض الأراضي ...وشككت بذلك في نزاهة مدير الاوقاف رؤوف الكبيسي ومدير مدرسة التفيض (حسن رضا) لقيامهما بدون وجه حق بضم جزء من أراضي جامع العاقولية إلى مدرسة التفيض[٢١].
وبسبب رد فعل الاوقاف العنيف إزاء هذه الاتهامات صدر القرار بفصله من دار العلوم الدينية والعربية عام ١٩٣٥ ملفقين ضده تهمة الاشتغال بالسياسة وعلى اثر ذلك قدم الحنفي طلبا التمس فيه مقابلة الملك غازي كما قابل رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ونقل إليه حقيقة الحادث والأسباب التي أوجبت فصله وطلب تدخل رئيس الوزراء لإنصافه وكانت النتيجة إعادته إلى مقاعد الدراسة كما صدر أمر يمنع الاوقاف من تمليك الجزء الذي أرادوه لمدرسة التفيض وبعد تخرجه في العام ١٩٣٥ عين خطيبا وإماماً لمسجد سوق الصفافير .
ولما أرادت الاوقاف مجددا منح التفيض جزءاً من جامع العاقولية بادر الحنفي بكتابة شكوى جديدة إلى رئيس الوزراء ياسين الهاشمي حول الموضوع إلا أن شكواه لم تجد لها أي استجابة ومع ذلك لم يتوفق الحنفي عن رصد الأخطاء والتجاوزات وكان خصمه آنذاك عبد العزيز الخياط وقد تدخل مدير الاوقاف (حامد الراوي) لصالح الحنفي لإعادته إلى الوظيفة إلا أن الحنفي رفض وبقي مصراً على رفضه حتى عام (١٩٣٧) حينما صدر الأمر بتعيينه مجدداً إماما وخطيبا في جامع المرادية .[٢٢].
وفي أواخر عام (١٩٣٩) سافر إلى القاهرة بغية الدراسة في جامعة الأزهر ضمن وفد أرسلته الاوقاف لغرض الدراسة وكان من رفاقه محمود الصواف وعبد الله الشيخلي وهناك التقي بوالده (محي الدين) الذي كان قد استقر في الشيخلي وهناك التقى بوالده (محي الدين) الذي كان قد استقر في الإسكندرية يدير مطعما افتتحه هناك وكان الحنفي سعيد جدا عندما التقى بوالده .[٢٣].
وسبب وجوده في مصر انه كما قيل اعتمادا على رواية غير موثقه كان متهما بإطلاق النار على جنود الاحتلال البريطاني لذا صدر حكم باعتقاله إلا انه بقي مختفياً وينتقل من مكان إلا أخر حتى انتهى به المطاف في الإسكندرية حيث استقر وتزوج هناك وقد جلب الحنفي عند عودته إلى مصر صورة والده ليريها إلى شقيقته التي لم ترى والها أو تعيش في كنفه لأنه عندما هرب إلى مصر كانت صغيرة السن وتولى عمهم رعاية العائلة وتربية جلال وأخته .[٢٤].
ومما نجدر الإشارة إليه هنا أن وجود والده في الإسكندرية في هذا الوقت ومن قبل في البصرة يطرح أو يقدم المعطيات الآتية :

١- تمتع الوالد بروح المغامرة والتحدي وركوب الصعاب وإلا ليس من السهولة بمكان على رجل أن ينتقل إلى مصدر خلال العشرينات بحثا عن فرصة للعمل والارتزاق .
٢- أن ترك عائلته الصغيرة والارتحال إلى بلد بعيد يعكس وبدون ادني شك صلابة هذا الوالد وشدة باسه واستعداده لتحمل الفراق في وقت ندرت أو عزت وسائل الاتصال .
٣- أن غياب الوالد وافتقاره إلى العاطفة الأبوية ألقت على جلال على الرغم من صغر سنه مهمة مواجهة عاديات الزمن وحده متحملا المسؤولية .
٤- أن غياب والده الطويل يفسر هو الآخر غيابه عن الصورة طيلة فترة تنامي مؤهلات الحنفي التعليمية واكتسابه للمعرفة وانتقاله من مدرسة إلى أخرى حتى إن مذكرات الحنفي الخطية لا تعطي مساحة واسعة لهذا الوالد وسيرته وحجم رعايته لأسرته .

انغمر الحنفي خلال الحقبة التي عاشها في القاهرة في محافلها الثقافية والتقى بعدد من الشخصيات التي كانت تشكل مجتمع مصر الفقهي أو الثقافي من بينهم محمد فريد وجدي[٢٥] . الباحث والمؤرخ المصري المعروف وعبد الوهاب خلاف والشيخ قارئ القرآن الشهر عبد الفتاح الشعشاعي والأديب احمد حسن الزيات والشيخ محمد زاهر الكوثري احد كبار الفقهاء المولعين بنشر الكتب التراثية والشيخ محمد الشنقيطي وجمهرة أخرى من الفقهاء والأدباء والمفكرين الذين اخذ منهم الشي الكثير وخاض معهم نقاشات فقهيه وثقافية طويلة نشر بعض منها في صفحة القاهرة كالبلاغ اليومية ومجلة الكشكول الأسبوعية .[٢٦].

إلا إن البعثة العلمية التي سافر فيها الحنفي إلى مصر لم تستمر طويلا حيث أمضى عاما واحدا وبعدها عاد إلى بغداد في عام (١٩٤٠) بعد أن أغلقت الجامعات المصرية أبوابها بسبب مخاطر الحرب العالمية الثانية والتهديدات التي تعرضت لها الأرضي ومع ذلك فان السنة التي أمضاها في مصر واحتكاكه ببعض رجال الثقافة والفقه واللغة جعلته يجتهد في المتابعة والبحث ويتميز في اجتهاده لان في ذلك "علة في نفسه الطامحة إلى العلو أكثر فأكثر وعلة أخرى في عقله الذي غرزت فيه المعرفة كما لو إنها شيء متمم لخصاله الكيانية الأخرى .[٢٧].

وهنا لا بد من التعريج على جانب آخر من مسيرة الحنفي الثقافية وهي تأثره الكبير ببعض إعلام الثقافة والمعرفة في العراق واختلاطه بهم مما وفر له الأرضية المناسبة لاكتساب المزيد من جوانب المعرفة سواء في مجال اللغة والتاريخ أو الفلكلور ومن ابرز هؤلاء الإعلام الأب انستاس ماري الكر ملي . فقد كان للكرملي مجلس أدبي يعقد كل جمعة تناقش فيه القضايا اللغوية والأدبية والمشاكل التي تحيط بالثقافات المختلفة وكان الحنفي من رواد هذا المجلس المنعقد في كنيسة اللاتين وشكلت الأشهر الأخيرة من عام (١٩٣٠) بداية حضور هذا المجلس .[٢٨].

ومن ضمن الحوارات التي جرت بين الكرملي والحنفي في أول لقاء لهما ، قال الحنفي للكر ملي بعد أن أعطاه نسخة من صحيفة بغداد التي نشرت له مقالا في اللغة قائلا ((هذا مقال لي)) فأجابه الكرملي بعد أن قرأ المقال ((قدرتك فائقة في تحرير المقالة)) ثم عاود الحنفي قائلا للكرملي ((وهذه الافتتاحية لي ثم نظر إلى الحنفي وقال له((ستصبح شيئا إن معلميك لا يحسنون كتابة ما تكتبت))وقد شكل هذا اللقاء البداية التي شجعت الحنفي للتأدب بأدب الكرملي وحضوره مجلسه حتى أصبح الكرملي من الشخصيات العزيزة عليه والمؤثرة فيه .[٢٩].

ويحتفظ الحنفي في خزانته بدفاتر صغيرة كتب فيها مذكراته اليومية عن مجلس الكرملي وفيها مزيج من آرائه وملاحظاته وهوامشه أو من رأي الحاضرين في المواضيع التي يتم النقاش حولها في مجلس الكرملي .وكانوا يمثلون نخبة متميزة في حقول الأدب واللغة والثقافة والدين والتاريخ وغير ذلك ومنهم على سبيل المثال لا الحصر عباس العزاوي ويعقوب سركيس وعبد الرزاق الحسيني ومصطفى جواد والدكتور داود الجلبي ورزوق عيسى ويحيى محمد ومحمد الهاشمي .[٣٠].

لقد انتفع الحنفي انتفاعا كثيرا من حضوره المنتظم لمجلس الكرملي عبر الاحتكاك والتعرف عن قرب على رواد الفكر العراقي ممن نالوا شهرة في زمانه إلى جانب حصوله على الكثير من المعلومات اللغوية والفلكلورية التي لا يتسنى الحصول عليها من مكان آخر حيث اطلع الكرملي على مصادر متعددة ومعلومات جمة منها على سبيل المثال خراط لمراقد الأنبياء في بغداد الموجودة في كتب فرنسية وكتب للرحالة غير المترجمة .[٣١].

ومن خلال مجريات جلسات مجلس الكرملي زوما جاء في مذكرات الحنفي يتوضح أن الكرملي توسم في الحنفي مهارات ومواهب فكرية كثيرة وكان يثق باطلاعاته وتفسيراته ويرى في ذاكرته عمقا ووثوقا ولهذا فان لقبه منذ عام (١٩٣٣) بلقب (الشيخ) وكان الحنفي يعتز بهذا اللقب كثيرا وصار بمثابة توقيعه الشخصي .[٣٢].

ومن الشخصيات الأخرى التي كان لها بصمات واضحة وتأثير كبير في الحنفي ومسيرته التعليمية الشاعر (الفيلسوف) جميل صدقي الزهاوي ، ولاسيما في مجال الشعر وأوزانه وكان أول ما قراه الحنفي أمام الزهاوي رباعيات شعرية من نظمه٩ كانت من بحر (المجتث) وهو من البحور الشعرية المعروفة .[٣٣].

فأعجب وانبهر الزهاوي بشعر هذا الشاب وهكذا بدأ الحوار بينهما إذ قال له الزهاوي كما يذكر الحنفي نفسه الحنفي فقال له ((شعرك جزل فخم فاقرض به ما شئت)) فكانت هذه الكلمات مؤثرة في نفس الحنفي فقال له ((أيها الفيلسوف أنت منحتني دفء الحياة)) .

ثم أهدى الزهاوي ديوانه إلى الحنفي ووقع عليه ذاكراً في الإهداء((إلى الشاعر الحنفي)) وفرح الحنفي وقال هذا اللقب ((وسام منحه لي شاعر المحيط باسمه وشعره)) .[٣٤].

وكان من ابرز رواد مجلس الزهاوي نخبه من رجال الثقافة والسياسة في العراق المعاصر من بينهم علي محمود الشيخ علي والشيخ بهاء الين النقشبندي وجميل المدفعي وطه الراوي وموفق الالوسي ورؤوف الكبيسي ومحمود صبحي الدفتري وطه الهاشمي وعلي ممتاز وغيرهم من المثقفين .[٣٥].

لقد اشاد الزهاوي بالحنفي بعد أن كشف الأخيرعن خلفيه ثقافيه واسعة في الشعر والأوزان وحفظ لقصائد شعراء العرب القدامى . وكان الزهاوي يوصيه بالتردد عليه كل أسبوع ولفرط إعجاب الحنفي بشعر الزهاوي اخذ يحضر مجلسه كل أسبوع حاملا قصيدة جديدة يقراها إمامه فيجري بشأنها الحوار والجدل .

وبلغ تأثر الحنفي بالزهاوي درجة كبيرة حتى انه قلده في حركاته وإيماءاته ولكنه وجد فيما بعد إن ذلك أمرا غير مستحب وغير طبيعي لفارق العمر بين شيخ كبير ذاع صيته في الآفاق وشاب يتلمس خطواته ببطء ففطن الى نفسه او إن أحدا وهو الأغلب نبهه الى هذا الأمر فاقلع عنه .[٣٦]

وتطرق الحنفي الى لقب الزهاوي حيث قال ((لقد عرف الزهاوي بالفيلسوف من خلال تدريسه مادة الفلسفة الإسلامية وقوي هذا بعد نشره مقلات في الطبيعة وما وراء الطبيعة ثم قوي أكثر حين عرف عنه الانفلات من بعض التعاليم الدينية . وكتب الحنفي أشياء كثيرة في ذكر الزهاوي حيث قال عنه انه ((ذو جبروت شعري رهيب)) ووصفه بأنه كان يحب المدح والذكر بألفاظ الإجلال والإعجاب كما كان يسره تصفيق الجهور له إذ ألقى قصيدة من قصائده .[٣٧]
ومهما يكن من أمر فان تأثيرات الزهاوي ومن قبل الأب انستاس ماري الكرملي فيه لم تكن بالشيء القليل فقد وجد منهما الرعاية والتشجيع كما وجد في مجلسهما مساحة واسعة للاطلاع والتعلم ومعرفة ما هو جديد في عالم اللغة والأدب والثقافة عموما مما يشكل له في المستقبل معيناً معرفياً سيتم توظيفه في معالجاته المتنوعة والمتعددة في السنوات اللاحقة .

المبحث الثالث

صداقاته _ علاقاته _ هواياته .

كان للحنفي علاقات وصدقات كثيرة أيام طفولته وصباه ذكر البعض منها في مذكراته الخطية فكان من رفاقه في الدراسة الابتدائية آنذاك الرسام العراقي المعروف فائق حسن ومن رفاقه عبد الله فاضل الدليمي الذي اصدر معه صحيفة جداريه باسم (الشريعة) وكذلك صادق الازدي الذي أصبح صحفيا معروفا حيث كان يتردد على الحنفي بمجلته (القراغول) ومن رفاقه أيضا نوري ثابت الذي اصدر مجلة (حيزبوز) المشهورة في الثلاثينيات .وكان الحنفي قد استعان به عندما ألف بعض من كتبه في الامثال والبغداديات[٣٨]. وكان من عادة الحنفي تدوين السيرة الشخصية لبعض من امتلك شهرة أدبية وثقافية وكان الشعر ونظمه ونقده هو القاسم المشترك بين هؤلاء الذين كتب عن حياتهم وسيرتهم الذاتية .وهنا يبرز التأكيد بان تراجمه لبعض هذه الشخصيات ممن امتلك مواهب شعرية ما هي إلا دلائل إثبات على ولع الحنفي بالشعر منذ ان كان شابا لذلك كان يدون سيرة الشعراء الشباب[٣٩]. كذلك كون الحنفي علاقات وصداقات من خلال تردده على بعض المجالس الأدبية الخاصة وبعض المقاهي البغدادية ولاسيما تلك العلاقات ذات الطابع الاجتماعي والتي لم تكن بعيدة عن الحياة الادبية مع أناس كان لهم ولع في الشعر والأدب من أمثال عبد الشيخلي وعبد الرحمن الدوري إمام مسجد التكارتة وخطيب جامع علي أفندي ومكي القراغول والشيخ سلمان العباسي وتوفيق عبد الله ووهيب بن رزوقي وهم من قراء المقام العراقي وناصر جرجيس وتوفيق عبد اللهوغيرهم[٤٠].
أما المقاهي التي كان يتردد عليها فهي كثيرة أبرزها مقهى (ابراهيم) في العلوية ومقهى (الرشيد) بمنطقة الميدان ومقهى (حسن العجمي) في الحيدرخانة ومقهى (الزهاوي) الواقع في شارع خالد بن الوليد وغيرها وكان لهذه الجلسات واللقاءات عذوبة خاصة يتخللها الكثير من الكلام في العادات والتقاليد الاجتماعية والثقافة والدين والأدب أما خارج إطار اللقاءات والجلسات في المقاهي والمجالس الخاصة فان الباحث العراقي مير بصري والتراثي اليساري هادي العلوي من الناس الذين دخل معهم الحنفي في صداقات وعلاقات طابعها الثقافة والتراث .وهذا وان دل على شئ فإنما يدل على ان الحنفي كان رجل دين متسامحا منفتحا ينطلق من نظرة شمولية لمعنى الحياة ولمعنى ان يبقى حرا لارادة حر التفكير وتلك هي ميزاته العقلية [٤١].

صفاته _ عاداته _ وهواياته

يتميز الحنفي برشاقة ونحافة ملحوظة. فقد كان وزنه لا يزيد عن الستين كيلو إلا قليل وطوله أكثر من المتر ونصف المتر بقليل وبشرته كما ثبتها هو ليست بيضاء ولا حمراء بل بشرة سمراء وقد وصف نفسه ببيت من الشعر قائلا :

فقلت لها ليس الشعوب على الفتى
بعار ولا خير الرجال سمينها

وكان كثيرا السير مشيا على الإقدام لمسافات طويلة والناس عرفته بهذه العادة فكان يسرع آونة ويبطئ آونة أخرى . وكان للحنفي نظام خاص بشأن الوجبات الغذائية ففي الصباح يتضمن فطوره تناول كوبين من الحليب في واحد منهما بيضة نيئة مخلوطة مع الحليب معها ملعقة عسل ان وجد . إما غذائه فكان بسيطا ينهض عنه دون انتهاء من تناول الوجبة كاملة ملتزما بتلك القاعدة القائلة (قم عن الأكل وأنت
تشتهيه.إما طعام العشاء فلا شأن له به ويذكر قائلا (ليس من عادتي العشاء ويقول في مذكراته (فان تعشيت كان هلاكي فيه)[٤٢].
أما المواد السكرية فهي من حاجاته الطبيعية التي لا يطيق عليها اصطبارا ولا يستغني عنها لاسيما الصنف المعروف باسم (الشكرلمة البغدادية) اذ كانت الحلويات لا تفارقه وقد أحب العسل لفوائده الجمة إلا ان نفسه لم تميل الى الدبس . وكان الشاي شرابه المفضل ويشربه بشرط ان يكون في أقصى درجات الحرارة والحلاوة وخفة اللون ولم يرغب بشرب القهوة كما انه لم يدخن في حياته . وقد أصيب في وقت مبكر من أيام الصغر بمرض ترك في عينه اليمنى بعض الضعف الجزئي فكان يشخص من المرئيات ما يشخص إلا أنها لم تكن تعينه على القراءة ولكن الله منحه القدرة على أطالة النظر في الكتب والمطالعة لساعات طوال والتعلم والتعليم دون الشعور بأي عناء، اما سمعه فكان قويا ولديه إذن موسيقية كانت مصدر إلمامه ووعيه بالأصوات والنغمات . واعتاد الكتابة بحروف كبيرة وذلك لتأثره بخط معلمه الشيخ حسين بن سمرة الذي كان يدرسه في المدرسة البارودية منذ السنوات الاولى في الابتدائية[٤٣].
وفضلا عما تقدم فالحنفي كان أنسانا متواضعا ويميل الى البساطة سواء كان في العيش او في الملبس وأصبح أكثر تواضعا عندما تقدم به العمر فلم يكن متعاليا على الآخرين ولا يرفع أصواتهم ولا يحبس في اعماقه أي شيء ينبئ عن جديد في

أفكارهم وهذه الخصلة جعلت منه مرجعا مهما لبعض الأجيال الجديدة من ناشئة الكتاب حيث أصبح من خلال ذلك مرجعا يراجعه الآخرون أيام وجوده في جامع الخلفاء وكانوا يجتمعون حوله على شكل حلقة يسمعون نصائحه وإرشاداته في علوم متنوعة كاللغة والعروض والفلكلور وعلوم الدين والفقه اذ كان ينصت إليهم فينصحهم فيما يراه من مصلحتهم العلمية ولم يمتلكه غرور سنوات الشباب الاولى بأي حال من الأحوال .

ويمكن الاستنتاج من خلال استعراض الصور الكثيرة لسيرته انه كان يقترب الى التقشف او الزهد ليس مجبرا عليه او متعمدا فيه إنما هو كذلك انشأ وسار في طريقته الحياتية وكلما تقدم به العمر أصبح أكثر اقتناعا بضرورة التواضع ويرى في ذلك واجبا ينبغي ان يكون عليه الكاتب او المفكر لان في ذلك يتجلى الخلق الرفيع وهو خير الصفات المحمودة في مجتمع الأدباء[٤٤].

نشأ الحنفي نشأة عصامية انبتت نفسها نباتا حسنا وشقت طريقها في الحياة بنبل وشرف معتمدة على ما حباها الله من ذكاء وفطنة ولم يكن باحثا عن مجد او جاه وان سعيه الأكبر في الحياة كان سعيا وراء الكلمة التي وظفها خير توظيف في التأليف والكتابة .

كما انه لم يتعصب لفكر ما وكانت له ثوابته الفكرية في كل مجال من مجالاته واخذ الأمور بموازينها وكان عقله متحركا وحاضرا في هذه الموازين جميعا اي ان التسامح المذهبي او الفكري وتعاليه على الطائفية ظل سجية من سجايا الحنفي وقد نذر حياته للتقارب الفكري بين التيارات والمذاهب والطرق الفكرية .

الى جانب امتلاكه القدرة والرغبة الشديدة لتصحيح المعوج في السلوك العلمي والاجتماعي فكان لديه قدر حسن من الجرأة في مواجهة سبل الحياة الجديدة وقد تمرن على مكافحة الامراض الاجتماعية عن طريق المقالات والابحاث وقول الحق .كما كان الصبر من صفاته ومن ملازميه ، فضلا على انه كان محبا للنقد وقابلا عل الانتفاع منه بشرط ان لا يكون ظالما او جائرا الى جانب كرهه للأنانية الموجودة في سلوك بعض الناس ويصفها بأنها من صنع الجهل وإنها انهيار الشخصية وفساد مذاق الإنسانية .[٤٥]

ولعل من مزاياه الأخرى انه كان أنسانا مرحا يميل الى النكتة وهذه الميزة أحببت إليه العامة لأنه جعل من التنكيت حالة وجدانية تسترد بها النفس[٤٦]. عافيتها بعد تعب من تكاليف الحياة . وفضلا عما ذكر عن صفاته وشمائله فانه امتلك في اعماقه وبوضوح منبعا ثرا من (العراقية) ليس لأنه ابن جامع او عالم دين يلتقي الناس فيستشعر منهم كل أحوالهم ومشاكلهم فتقوى فيه غزيرة المناصرة لهم وإنما هذه العراقية هي"تأصيل يومي ينبهه الى ان كل شئ في ارضه جذور الجذور في الحضارات الإنسانية ومن هنا جاءت أصالة كتاباته في العلوم كلها "[٤٧] .

ستة عقود او أكثر كافح الحنفي على مختلف الأصعدة الفكرية لا سعيا الى المال او الجاه وانما نشا وغريزة العلم تضرب في اعماقه . ولم يطلب الراحة لنفسه كدأب علماءنا انما كان يطلب رضا العلم والعلماء وأخيرا يطلب رضا القراء .[٤٨].

ومن جانب آخر فلا يعني ان كل ما سبق ذكره عن الحنفي انه لم يكن يخلو من العيوب وانه في غاية الكمال فقد ذكر البعض من الذين التقوا به واقتربوا من شخصيته وجود بعض العيوب ومنها انه كان يوصف بالبخل ولا يخفى بما يلحق بصاحبها من عادات سيئة تنعكس سلبا على سلوكه الشخصي انه كان مقتصدا جدا حتى انه كان يقضي اغلب إشغاله مشيا على الإقدام دون استخدام وسائط النقل حتى قيل انه من علامات بخله انه كان يحتفظ بسجل خاص يدون فيه ما ينفقه من المصروفات اليومية على شكل جدول يومي يكتب ما صرفه من نقود على المواد الغذائية اليومية واحتياجاته الشخصية والعائلية اليومية والنفقات الأخرى الضرورية.كذلك كان كثير المدح للزعماء والملوك والرؤساء . حتى وصل به الأمر الى مدح أشخاص اعتياديين في شعره وهو في هذا الإطار لا يختلف كثيرا عن مجموعة من الشعراء والأدباء مما ينطبق عليهم عنوان وعاظ السلاطين او (أبواق السلطة) ومن عيوبه انه كان كثير الانتقاد لخصومه حتى انه وضع كتابا ينتقد فيه الرصافي عنوانه (الرصافي في أوجه وحضيضة) .وكذلك تميز بالعصبية فهو يتعصب على خطا في أحيان وعلى قناعة من أمره في أحيان أخرى . ولم يعرف عنه انه كان عاطفيا ولكن العاطفة فرضت نفسها عليه وتوضح ذلك من خلال زواجه المتأخر [٤٩].

اما عن هواياته فقد تنوعت وتعددت باختلاف المراحل الزمنية التي مرت بها حياته ففي طفولته وصباه علقت به هواية الألعاب البهلوانية والرياضة والتردد على المقاهي الشعبية لسماع (القصخونية) وهم يجلسون على كراسيهم الخاصة ويلحون بأيديهم ويرفعون أصواتهم في أثناء سرد الحكايات والأقاصيص [٥٠].

كما دخل التصوير الفوتوغرافي ضمن هوياته حتى انه في الثلاثينيات تدبر مبلغا من المال لشراء كامرة صغيرة نوعها البوكس . كذلك اهتم في هذه المرحلة بموضوع الرسم والألوان وألفاظها ومسمياتها ويبدو ان اهتمامه بالألوان انتقل الى أولاده فيما بعد بحيث كانوا جميعا يعشقون اللون والرسم ويبدعون فيه [٥١].

وفضلا عما تقدم فقد برزت عنه هواية التردد على المكتبات كمكتبة المعارف ومكتبة الأوقاف وكذلك التردد على سوق السراي لشراء الكتب والمجلات المستعملة وكان زبونا دائما للمكتبة العصرية وصاحبها محمود حلمي [٥٢].

وفي الثلاثينات بدا بهواية كتابة المذكرات اليومية في دفاتر صغيرة يسجل فيها انطباعاته ومشاهداته وملاحظاته وتطورت خلال السنوات اللاحقة فعندما ذهب الى الصين او عندما كان يسافر الى اي مكان اخر كانت المذكرات اليومية تتحدث عن رحلاته وما يجري في إثناءها بالتفاصيل الدقيقة وشكلت هذه السجلات شريطا لحياته ومجرياتها حتى مماته اذ دون فيها كل صغيرة وكبيرة .[٥٣]

اما هوايته المفضلة الدائمة والتي لازمته طيلة حياته فهي المطالعة والقراءة التي قد تصل في بعض الأوقات الى أربع عشرة ساعة يومية مستمرة او متقطعة لكنها كما يذكر هو الزمن الأقرب الى الثبات يوميا الى القراءة ومع ذلك فان هذه

القراءة ساعدته ان يكون واعيا ومثقفا في امور الدين والدنيا والأدب ومن هواياته الأخرى التي أعانته على توسيع معارفه العامة واطلاعاته الرغبة في تعلم اللغات الأجنبية ومنها اللغة الصينية التي تكلمها بطلاقة عندما انتدب للتدريس في الصين وتعلم بعض من اللغة الانكليزية في أثناء وجوده في كوريا وأتقن بعض من الاسبانية . كما تعلم جانبا من اللغة الأزبكية من الازبكيين عندما كان إماما في جامع الازبك ومن اللغات الأخرى التي عمل على تعلمها ومعرفة أسرارها اللغة العبرانية لغرض دراسة التوراة[٥٤].

المبحث الرابع

زواجه وحياته الأسرية

لقد حالت الظروف الصعاب ولاسيما الجوانب المادية والعمل المتواصل لكسب الرزق منذ أيام شبابه في الصحافة والإمامة والخطابة في مساجد الأوقاف.وكذلك الرحلات التي اكتنفت حياته والتي كلفته الانتقال وعدم الاستقرار دون زواجه في وقت مناسب لذا لم يتح له إلا بعد ان بلغ الخمسين من عمره . ولعل هناك جانب نفسي اخر منعه من الزواج في سن مبكر وهذا الجانب متعلق بغياب الوالد عن العائلة وعدم تحمله المسؤولية ورعاية الأسرة كما ان وفاة والدة الحنفي وغيابها هي الأخرى عن العائلة قد ولد عنده عقدة من الزواج وما يتطلبه من مسؤولية ودواعي الالتزام هذه الأسباب مجتمعة جعلته يؤجل فكرة الزواج لا ان يسقطها نهائيا من تفكيره .[٥٥]

وتنامت فكرة الزواج بعد ان عرض عليه خاله (عباس الزبيدي) فكرة الزواج والاستقرار فقيل الحنفي بذلك وطلب من خاله الإسراع في البحث عن زوجة تناسبه فبعث له صورة الآنسة (منيبة زيتل بكر) التي تربطها صلة قرابة بخال الحنفي الذي كان زوجا لعمتها . وعندما رأى الحنفي تلك الصورة وافق على الزواج ووافقت هي رغم فرق السن بينهما.ولما سئلت عن السبب في قبولها الاقتران بالشيخ رغم فارق السن بينهما أجابت (لأنه رجل مثقف وخبر الحياة وامتلك تجاربها) [٥٦].

وفي عام (١٩٦٨) تم الزواج في سوريا ولعل من دواعي اختياره ذلك المكان بسبب أقامة خاله هناك الذي كان له الفضل في اختيار زوج الحنفي وبعد ذلك ذهبا الى الصين لان الحنفي كان مقيما فيها منذ عام (١٩٦٦) لكونه يدرس اللغة العربية في جامعة بكين وبقيا هناك لمدة سنة ونصف السنة تقريبا .وتعلمت من خلالها اللغة الصينية التي كنت أجيدها أكثر من الشيخ نفسه .

والشيخة من مواليد اربيل في العام (١٩٤٩)اي ان هناك (٣٥) سنة فارقا في السن بينهما وبين زوجها جلال الدين .عاشت طفولتها هناك حيث كان والدها يعمل في احدى الوحدات العسكرية ثم انتقلت بعدها مع أسرتها للعيش والسكن في مدينة كركوك التي تقول عنها ان والدها كان يعمل صفارا في سوق الصفافير آنذاك وأكملت دراستي الابتدائية فيها وقبل ان تكمل دراستها المتوسطة في الستينات اضطرت الى ترك الدراسة لأسباب وظروف خاصة هي الزواج وارتباطاته والمسؤولية المترتبة عنه كما انها غادرت الى الصين برفقة زوجها .لذا لم يتيسر لها الوقت المناسب لإكمال تعليمها .

وتضيف الشيخة في السبعينات بعد العودة إلى بغداد من الصين تم تاسيس المركز الاقرائي في جامع الخلفاء فقررت مواصلة الدراسة التي حرمت منها فدخلت المعهد بتشجيع من الشيخ (لإكمال دراستي الدينية فيه ولأكون من طالبات الدورة الأولى التي تخرجت) ثم بدأت بتدريس الطالبات اللاتي دخلن المعهد فيما بعد أصول وقواعد التجويد وقراءة القرآن الكريم مع عدد اخر من الخريجات الأخريات .اما بشان الأسماء التي كان الشيخ يختارها لأبنائه تواصل الشيخة حديثها عن الموضوع قائلا كان يختار بنفسه أسماء أبناءنا وكان يحرص على ان تكون الأسماء عربية وتعود الى الشعراء ولها علاقة بالأدب واللغة.[٥٧] .

وقد أنجبت الشيخة منه أربعة أولاد بين كل واحد وآخر سنتين باستثناء ابنته الوحيدة (عروض) التي يفصل بينها وبين وآخر إخوتها سنة واحدة وهؤلاء الأبناء هم (لبيد) وهو من مواليد بكين ١٩٦٩ وهو خريج المعهد الفني الكهربائي ولكنه كان ملما بالكتب كأي كتيب معروف من تجارها وباعتها وهو على دراية بالحرف العربي والجملة العربية وذو شغف في قراءة التاريخ وكان مولعا بالرسم وعرف كوالده بكثرة المشي وقلة تناوله الطعام اما (عقيل) فهو المولد الثاني من مواليد كركوك ١٩٧١ وهو خريج إعدادية الصناعة وكان ذا ميول صناعية تجلى فيها مهاراته وكان كأخيه من هواة الرسم إلا انه اختلف عنه بولعة اللغة الفرنسية حتى انه التحق بمعهدها في بغداد[٥٨].

وثالث الأبناء واعية الذي ولد في بغداد في محلة سوق الغزل ١٩٧٣ وكان أثيرا عند والده وبدأت عليه علامات النباهة المبكرة منذ الصغر وهو خريج كلية الفنون الجميلة . ورابع الأبناء (داعية) وهو من مواليد شنغهاي بالصين عام ١٩٧٥ وهو خريج معهد السكك وكان ماهرا كإخوانه في الرسم .

اما ابنته (عروض) فهي من مواليد شنغهاي الصينية عام ١٩٧٦ وهي خريجة كلية المعلمين الجامعة المستنصرية وهي كأشقائها كانت تجيد الرسم وقد سماها والدها عروض عشقا منع لعلم العروض.[٥٩].

عاش الحنفي مع أسرته عيشة راضية فكان بارا بزوجته حديا على أولاده يقضي معهم بسعادة غامرة اوقاتا من يومه وكان له من ذلك حياة متجددة يانعة ومنعشة . اما زوجته فاحتفظ بصورتها لأخر لحظة من حياته [٦٠].

المبحث الخامس

شهرته ووفاته

بلغت شهرة الحنفي مدى واسعا وأصبح له جمهور عريض من القراء والمتابعين فقد كان كاتبا شعبيا دخل الى قلوب العامة والمثقفين والمتخصصين حتى ان الرجل العامي الذي لا تعنيه الثقافة صار يعرف من هو الحنفي لكثرة تردد اسمه بين الناس وفي المجالس والندوات وفي الصحف المحلية .اي كان له جمهور يتابع ما يكتب وما يألف وان هذه الشهرة او هذا الانتشار في اسمه جاء في سياق الموضوعات المتعددة التي كان يكتب به[٦١] .

والقارئ العراقي ميال بطبعه الى الكاتب الذي يثير فيه موضوعات يومه لذا فهو يقرا لكاتب او باحث في أمور تعنيه .ولما كان الحنفي موزعا جهوده في التأليف على أكثر من قصد وموضوع وغاية فان جمهوره قد تعدد .

فإذا كان في جمهوره من يحفل بما يكتب في أمور التجويد والمقام العراقي فان هذا الجمهور ينكمش عنه حين يكتب في التفسير والفقه ويحيط به جمهور اخر غيره وهكذا . إلا ان جمهوره الواسع قد ازداد بشكل خاص في متابعة ما كتب عن (الأمثال البغدادية) التي كانت من عوامل شهرته ذلك لان التصنيف في الأمثال يهم المثقف وغير المثقف والرجال والنساء والكتاب والقراء. وان كتبه في الفلكلور قد حققت شهرة واسعة ووجدت طريقها الى الجامعات التي تعنى بمباحث الفلكلور. لقد راسلته الجامعات اما مباشرة او عن طريق قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى المشهورة في سوق السراي.[٦٢]

ولما ذهب الى الصين عام ١٩٦٦ وصلته رسائل من بعض المهتمين بشؤون الفلكلور فأرسل بعضا من تلك الرسائل الى قاسم الرجب طالبا منه تزويدهم بتلك الكتب .اما في البلاد العربية فان بعض الطلبة التونسيين ذكروا وجود مؤلفات الحنفي في مكتبات تونس وبعض اشترى نسخا من كتابه في الأمثال البغدادية . وفي بعض مدن الوطن العربي شوهدت نسخ من كتب الحنفي في المكتبات العامة .الى جانب كتب المؤلفين العراقيين البارزين كما ان مؤلفاته في الأمثال البغدادية وعامية بغداد احتوتها خزانات بعض المستشرقين [٦٣].

وفضلا عما تقدم فان الحنفي قد عني بذائقه القارئ وأدرك مطالبه فنشا قريبا الى قلبه وسمعه ومشاعره لذلك ووفقا لهذا التمازج نفذت كل كتبه من المكتبات دون ان يروج لها في الصحافة او الجوامع او في وسائل الإعلام الأخرى، إذ كانت الصحافة هي التي تأتي إليه وتسائله عن جديدة من الأبحاث والدراسات[٦٤]. وعلى الرغم من نجاحه كمؤلف وشهرة التي تحققت له إلا ان الغرور لم يمتلكه بأي حال من الأحوال عكس ما كانت عليه في سنوات شهرته الأولى وسبب في ذلك انه سار كما يقول في مذكراته مقتديا بالحكمة القائلة (لا يكتب أحدا كتابا في يومه إلا قال في غده لو بدل هذا لكان أحسن ولو غير هذا لكان يستحسن _ فأنا كثير النقد لما اكتب) [٦٥].

لذا كان في أثناء الكتابة ينتقي الألفاظ ويتحمص العبارات ويغربل الكلمات بغربال يساعده على استخلاص الكلام الجميل الذي يدخل سريعا الى عقل وقلب القارئ[٦٦]

وفـــاته

توفي جلال الدين الحنفي ، في بغداد فجر الخامس من شهر آذار عام ٢٠٠٦ عن عمر يناهز الثانية والتسعين [٦٧].

وخير ختام لسيرته هي أبياته الأربعة التي كتبها قبل وفاته بساعتين .

فيم لم تغتمـــض هنالك عينـــي يوم ان طال الليل إذ أنا صـــــاح
ما عـــسى ان تـقول عيـــــن إذ ما امتنعت عن منامها الصـباح
كنت عند الـنهار أشكو ســـقاما زاد فيه الآلام مـــن اتراحـــــي
قد لعمري أرقت في سابق الأيام لكن ما ان فقـــدت ارتيـــــاحي

وقد جاء في وصيته " الموت حق علينا ، اوصي بعدم إقامة مجلس فاتحة لي وتقبلوا تعازي كل من جاءكم الى البيت وأحسنوا ضيافته وان يصلي عليَّ تلميذي(الشيخ علي الربيعي مسبلا ولا أريد تشييعا ،وأتمنى شفاعة الرسول محمد صلى الله علية وسلم وكذلك أوصى الشيخ الحنفي بدفن نسخة من كتابه (شخصية الرسول الأعظم قرآنيا) معه وقد تم العمل بالوصية .اما بالنسبة لكتاب معجم العامية البغدادية فقد جمعت قصاصاته في خزانات المكتبة وتمنى الحنفي ان يأتي من يحب بغداد ويطبع هذا الكتاب ليخلد لبغداد لغتها .

لى جانب ذلك أكد السيد عادل السبع في يوم تشييع الشيخ جلال الحنفي ان الناس الذين شاركوا في تشييعه كانوا على درجة عالية من الحزن والتأثر لوفاته [٦٨].

وبرحيله فقد العراق واحدا من الشخصيات البارزة في المجالات الفكرية والأدبية والتراثية التي تركت أثرا واضحا من الصـعب نسيانه او تجاوزه[٦٩].

الهوامش

١. باقرا مين الورد ، إعلام العراق الحديث : قاموس ترجم ١٨٦٩ _ ١٩٦٩ ، ج١ ، بغداد ١٩٧٨ ، ص٢١١

[٢] محمود درويش ، الدليل العراقي الرسمي معجم الإعلام ، بغداد ،١٩٣٦ ، ص٨٧٢.

[٣] من مقابلة أجرتها الباحثة مع واعية جلال الحنفي بتاريخ ١/ كانون الأول / ٢٠٠٧ في دارهم الواقعة في حي تونس .

(٤) جريدة الثورة ، (بغداد ، العدد ٦٠٤٥ ، ٣٠ حزيران ١٩٨٦ .
(٥) هاني مكاوي ، مجلة مزامير، بغداد ، ٢٨ / كانون الأول ٢٠٠٨ ، ص٢٥ .
(٦) عبد الكريم العبيدي ، مجلة الشبكة العراقية ، بغداد ، العدد ١٢ ،١/ شباط / ٢٠٠٧ ،ص٥
(٧) جريدة العراق ، (بغداد ، العدد ٦٦ ، ٢٧ / أيلول /٢٠٠٥ .
(٨) من مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب حميد المطبعي في داره الواقعة في حي الرسالة بتاريخ ١٠ / تشرين الثاني / ٢٠٠٧ .
(٩) مجلة الفتح ، العدد ٦٢ ، ١/ تموز / ٢٠٠٣ ، ص٢.
(١٠) عبد الستار القرغولي : هو عبد الستار عبد الوهاب عبد القادر القغولي شاعر وكاتب ومن العملين في الحقل القومي ومن المؤسسين لنادي المثنى بن حارث الشيباني في الثلاثينات له كتب كثيرة في التاريخ والأدب والألعاب الشعبية عن حياته ينظر حميد المطبعي ،موسوعة إعلام العراق في القرن العشرين ، ج٢ / بغداد ،١٩٦٩ ، ص١٨٥ .
(١١) جريدة العرب ، (بغداد) ،١٨/ آب /١٩٦٤.
(١٢) جريدة الدستور، بغداد ، العدد ١٣١٢ ، ١٩/آذار /٢٠٠٨ .
(١٣) جريدة المشرق ، بغداد ، العدد ١٠٢٥ ، ٢٨/تموز /٢٠٠٧.
(١٤) نعمان الاعظمي : هو الحاج نعمان بن احمد بن الحاج إسماعيل الاعظمي ولد في بغداد وتتلمذ على يد عبد الرزاق الاعظمي والشيخ سعيد أفندي وأجيز بالعلوم الشرعية وعين مدرسا في كلية الإمام الأعظم فمديرا لها عام ١٩٢٤ ، أسس ورفاقه جمعية الهداية الإسلامية وله مؤلفات كثيرة في الإرشاد والمواعظ الدينية . ينظر حميد المطبعي ، المصدر السابق ،ج٣ ، ١٩٩٨ ،ص٢٦٨ .
(١٥) جلال محي الدين ، المذكرات ،ص٣ .
(١٦) جريدة الاتحاد ،بغداد ،العدد ٣٠٠ ، ١١/ كانون الثاني / ٢٠٠٠
(١٧) جريدة الزمان ، بغداد العدد ، ٢٣٤٥ ، ٦/ آذار /٢٠٠٦ .
(١٨) جلال محي الدين ، المذكرات ، ص٨ .
(١٩) جريدة الثورة ، العدد ٦٠٠٣ ، ١٩/ مايس / ١٩٨٦ .
(٢٠) جريدة العراق، ٢/تشرين الأول / ٢٠٠٥ .
(٢١) جريدة العرب، بغداد ،٨ / آب ١٩٦٤ .
(٢٢) جريدة الدستور ، بغداد ، العدد ١٣١٢ ، ٩/ اذار / ٢٠٠٨ .
(٢٣) جريدة العراق ، العدد ٤٧ ، ٥ ايلول ٢٠٠٥ .
(٢٤) مجلة مزامير، العدد١٧ ، ٢٨ /كانون الثاني / ٢٠٠٨ ،ص٢٦
(٢٥) محمد فريد وجدي : (١٩٧٨- ١٩٥٤) مؤلف (دائرة المعارف) ولد ونشأ في الإسكندرية وانتقل مع والده إلى سويسرا فاصدر بها مجلة (الحياة) ونشر عام ١٨٩٩ رسالة سماها (الفلسفة الحقة في بدائع الألوان) وألف كتاب (تطبيق الديانه الإسلامية على نواميس المدين) كتبه أولا باللغة الفرنسية ثم ترجمه إلى العربية ، ثم سكن القاهرة وانشأ فيها مطبعة اصدر لها (جريدة الدستور)وله مؤلفات كثيرة توفي في القاهرة عام ١٩٥٤ .عن حياته وأثاره ينظر حيز الدين الزركلي ، ، الإعلام ، بيروت ،١٩٨٤ ، ص٣٢٩ .
(٢٦) جريدة الرأي ، (بغداد) العدد ١٠٨ ، ٢٠ /مايس / ٢٠٠١
(٢٧) من مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب عبد الباري العبودي بتاريخ ،١٧/شباط/٢٠٠٨ ،في داره الواقعة في حي الإعلام .
(٢٨) جريدة الزمان ، العدد ٢٦٢٤ ، ٢٠ / شباط / ٢٠٠٧ .
(٢٩) جلال محي الدين ، مذكرات، ص١٨ .
(٣٠) جريدة الثورة ، العدد ٦٠٠٣ ، ١٩/ مايس /١٩٨٦ .
(٣١) المصدر نفسه .
(٣٢) حميد المطبعي المصدر السابق ، ص٤٢ .
(٣٣) جلال محي الدين ، المذكرات ، ص١٨ .
(٣٤) حميد المطبعي / محمد بهجت الأثري ، بغداد ،١٩٨٨ ، ص٣٧ .
(٣٥) جريدة الاتحاد ، العدد ٣٠٠ ، ١١/كانون الثاني/ ٢٠٠٠.
(٣٦) من المقابلة السابقة مع واعية جلال الحنفي .
(٣٧) جلال محي الدين ، المذكرات ، ص١٣ .
(٣٨) من مقابلة أجرتها الباحثة مع الدكتور حميد مجيد هدو بتاريخ ٢١/ كانون الثاني / ٢٠٠٨ في داره الواقعة في حي الرسالة .
(٣٩) جريدة المشرق ، العدد ١٠٢٥ ، ٢٨ تموز ٢٠٠٧ .
(٤٠) جريدة العراق ، العدد ٤٨ ، ٩ حزيران٢٠٠٥ .
(٤١) من مقابلة أجرتها الباحثة مع صديقه حامد مصطفى القيسي بتاريخ ٨ شباط ٢٠٠٨ في داره الواقعة في الفضل بشارع الكفاح .

(٤٢) المصدر نفسه .
(٤٣) من مقابلة أجرتها الباحثة مع(جاره) علي عبد الوهاب شمسة بتاريخ ١/ كانون الاول / ٢٠٠٧ في داره الواقعة في حي تونس.
(٤٤) من مقابلة أجرتها الباحثة مع(صديقه) الاثاري سالم الالوسي بتاريخ ٧ شباط ٢٠٠٨ في داره الواقعة في المنصور.
(٤٥) جريدة العراق ، العدد ٦٦ ، ٢٧ / ايلول/ ٢٠٠٥ .
(٤٦) جريدة دار الحياة ، السعودية ، ٧شباط / ٢٠٠٨ .
(٤٧) جريدة صوت الأهالي ، بغداد ، العدد ١٦٨ / ٤شباط ٢٠٠٨ .
(٤٨) من المقابلة السابقة مع الاثاري سالم الالوسي.
(٤٩) من المقابلة السابقة مع الدكتور حميد مجيد هدو.
(٥٠) جريدة صوت بغداد ،(بغداد) ، العدد ٦٥ ،٢٧ / كانون الثاني ٢٠٠٧ .
(٥١) جريدة الثورة ،العدد ٥٩٨٩ ،٥مايس ١٩٨٦ .
(٥٢) جريدة التآخي ،بغداد،العدد ٥٠١٧ ،٣٠ نيسان ٢٠٠٧ .
(٥٣)المصدر نفسه .
جريدة القادسية ، بغداد ، ١٦ اب /١٩٩١ .
(٥٤) من مقابلة اجرتها الباحثة مع صديقه عادل احمد السبع بتاريخ ٨شباط ٢٠٠٨ في داره الواقعةفي الفضل شارع الكفاح .
(٥٥) جريدة القادسية ، بغداد ، ١٦ اب /١٩٩١ .
(٥٦) من مقابلة اجرتها الباحثة مع الشيخة (عقيلة الحنفي) بتاريخ ١كانون الاول ،٢٠٠٧ .في دارهم الواقعة في حي تونس ١٧ .
(٥٧) جريدة القادسية ، بغداد ، ١٦ اب /١٩٩١ .
(٥٨) جريدة الدستور ، العدد ١٣١٢ ، ٩اذار ٢٠٠٨ .
(٥٩) من المقابلة السابقة مع الشيخة (عقيلة الحنفي) .
(٦٠) جريدة القادسية ، ١٦/ آب / ١٩٩١ .
(٦١) من مقابلة أجرتها الباحثة مع عادل العرداوي وهو من المقربين لعائلة الحنفي بتاريخ ٧ اذار ٢٠٠٨ في الحفل التأبيني الذي أقيم في نادي الصيد بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لرحيل الحنفي .
(٦٢) جريدة المدى ،٢١ آذار /٢٠٠٦
(٦٣) جلال الحنفي ، مجلة الفتح ، بغداد ، العدد ٨٧ ، ١٢ آذار ٢٠٠٦ ص٦
(٦٤) جريدة الرأي ، العدد ١٠٨ ، ٢٠ مايس ٢٠٠٧
(٦٥) جريدة الصباح ، بغداد ، العدد ٨٠٤ ، ٢٢شباط ٢٠٠٦ .
(٦٦) جلال محي الدين ، المذكرات ، ص٢٣ .
(٦٧) المصدر نفسه .
(٦٨) جريدة صوت الأهالي ، العدد ١٨٩ ، ٤اذار ٢٠٠٨ .
(٦٩) من مقابلة أجرتها الباحثة مع حفيدتها (بأنة لبيد) في الحفل التأبيني الذي أقيم في نادي الصيد بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لرحيل الحنفي .

المصادر

أولا : الكتب العربية

١- .....، موسوعة إعلام العراق في القرن العشرين ، ج١ ، بغداد ، ١٩٩٥
٢-باقر أمين الورد، أعلام العراق الحديث : قاموس تراجم ١٨٦٩ - ١٩٦٩ ،ج١، بغداد ١٩٧٨ .
٣-حميد المطبعي ، محمد بهجت الأثري ، بغداد ، ١٩٨٨
٤-خير الدين الزركلي / الإعلام ، ج٥ ، ١٩٨٤
٥-محمود درويش ، الدليل العراقي الرسمي معجم الإعلام ، بغداد ، ١٩٣٦ .

ثانيا : الصحف

العدد ٦٦ ، ٢٧ / ايلول / ٢٠٠٥ .
١-جريدة صوت بغداد ، بغداد ، العدد ٦٥ ، ١٣ كانون الأول / ٢٠٠٦ .
٢-جريدة الاتحاد ، بغداد ،العدد ١١ ، كانون الثاني/ العدد ٤٧ ، ٥/ ايلول ، ٢٠٠٥.
٣-جريدة العرب ،بغداد ، العدد ١٨، ١٢ آب ١٩٦٤ .
٤-جريدة الثورة ، بغداد ، العدد ٥٩٨٩ ، ١٤ نيسان ١٩٨٦ ،العدد ٦٠٠٣ ، ١٩ أيار ١٩٨٦ ، العدد ٦٠١٧ ، ٢/ حزيران /١٩٨٦ .
٥-جريدة القادسية ، بغداد ،العدد ٣ ، ١٦ آب ١٩٩١ .

٦-جريدة الرأي ، بغداد ، العدد ١٠٨ ، ٢١/ أيار/ ٢٠٠١ .
٧-جريدة العراق ،العدد ٢٢، ٤/تموز / ٢٠٠٥.
٨-جريدة الصباح ، بغداد ، العدد ٨٠٤ / ٢٢/شباط/ ٢٠٠٦ .
٩-جريدة المدى ، بغداد ، العدد ٦١، ٤ آذار ٢٠٠٦ .
١٠- جريدة الزمان ، بغداد ، العدد ٢٦٢٤ ، ٢٠ /شباط / ٢٠٠٧ .
١١- جريدة التآخي ، بغداد ،العدد ٥٠١٧ ، ٣٠ / نيسان / ٢٠٠٧ .
١٢- جريدة المشرق ، بغداد ،العدد ١٠١٢ ، ١٣/ أيار / ٢٠٠٧ .
١٣- جريدة دار الحياة ، السعودية ، العدد ٤ ، ٧ / شباط ٢٠٠٨ .
١٤- جريدة الدستور، بغداد ، العدد ١٣١٢ ، ١٩/ آذار / ٢٠٠٨ .
١٥- جريدة صوت الأهالي ، بغداد ، العدد ١٦٨ ، ٤/ نيسان / ٢٠٠٨ .

ثالثاً : المجلات

١-مجلة الشبكة العراقية ، بغداد ،العدد ١٢ ، ٧/ شباط / ٢٠٠٧ .
٢-مجلة مزامير ، بغداد ، ٢٨ / كانون الثاني /٢٠٠٨
٣-جلال الحنفي ، مجلة الفتح ، بغداد ، العدد ٦٤ ، ١ تموز /٢٠٠٢ .

رابعاً : المقالات الشخصية

١- مقابلة مع الباحث التراثي (صديقه) رفعت مرهون الصـــفا بتـــاريخ ٢٠ /١ /٢٠٠٨ في داره الواقعة في شارع فلسطين.
٢- مقابلة مع عادل العرداوي وهو من المقـــربين لعـــائلة الحنفي بتاريخ ٧ / ٣ / ٢٠٠٨ في الحفل التأبيني الذي أقيم في نادي الصدر .
٣- مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب حميد المطبعي بتاريخ ١٠ /١١/ ٢٠٠٧ في داره الواقعة في حي الرسالة .
٤- مقابلة مع واعية جلال الحنفي بتاريخ ١ / ١٢ / ٢٠٠٧ في دارهم الواقعة في حي تونس .
٥- مقابلة مع الشيخة (عقيلة الحنفي) بتاريخ ١/ ١٢ / ٢٠٠٧ في دارهم الواقعة في حي تونس .
٦- مقابلة مع (جاره) علي عبد الوهاب شمسه بتاريخ ١ /١٢ / ٢٠٠٧ في داره الواقعة في حي تونس .
٧- مقابلة مع الدكتور حميد مجيد هدو بتاريخ ٢١ / ١/ ٢٠٠٨ في داره الواقعة في حي الرسالة .
٨- مقابلة مع (صديقه) الاثاري سالم الآلوسي بتاريخ ٧ / ٢ / ٢٠٠٨ في داره الواقعة في المنصور / حي الأندلس .
٩- مقابله مع (صديقه) حامد مصطفى ألقيس بتاريخ ٨ /٢/ ٢٠٠٨ في داره الواقعة في الفضل شارع الكفاح .
١٠- مقابلة مع الكاتب عبد الباري العبودي بتاريخ ١٧ / ٢ / ٢٠٠٨ في داره الواقعة في حي الإعلام .
١١- مقابلة مع (صديقه) عادل احمد السبع بتاريخ ١٨ / ٢ / ٢٠٠٨ في داره الواقعة في الفضل شارع الكفاح .

خامسا : المذكرات الشخصية

المذكرات الشخصية غير المطبوعة (المخطوطة) للشيخ جلال الدين الحنفي